التنشئة الدعوية على حفظ الضروريات الخمس

وأثرها على المدعوّ في القرآن الكريم: آيات الحكمة في سورة الإسراء أنموذجًا

د.ماجد بن عبدالله بن إبراهيم البصيّص
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين والدعوة-قسم الدعوة والرقابة

مستخلص:

إنّ من أوائل ما نزل من القرآن الكريم في مكة المكرمة سورة الإسراء ما عدا خمس آيات نزلت في المدينة من بين مائة وإحدى عشرة آية، حيث كان ترتيبها سابعة عشرة من بين سور القرآن الكريم، وجاءت وصايا من الحكمة في السورة، في حوالي ثماني عشرة آية، من الآية الثانية والعشرين حتى التاسعة والثلاثين.

ونزلت في مكة لينشأ المسلم عليها منذ بدايته ودخوله في الإسلام، وتصبح له منهجًا ودربًا يسير عليه طيلة حياته، وهذه الأحكام الواردة تدعو إلى حفظ الضروريات الخمس.وقد خصصت الضروريات بخمسٍ تتمثل في حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وتهدف الدراسة إلى إبراز أهمية التنشئة الدعوية على حفظ الضروريات الخمس وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء، والكشف عن الوصايا الحكيمة في آياتها التي تعين الدعاة في العمل على التنشئة الدعوية، وبيان حِكَم الشارع في الضروريات الخمس ووجوب حفظها وتوظيفها توظيفًا دعويًّا.

وتتكون الدراسة من مقدمة، وخمسة مباحث وتحت كل مبحث مطلبان، وبعد المباحث خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الدعوية، الدعوة، الضروريات الخمس، الآثار الدعوية، حفظ الضروريات

Abstract:

Among the first verses of the Holy Quran revealed in Mecca was Surah Al-Isra'h, with the exception of five verses revealed in Medina out of a total of one hundred and eleven verses. It is placed in number seventeenth among the

surahs of the Holy Quran. There are series of wisdom in the Surah, especially from verse twenty-two to thirty-nine.

It was revealed in Mecca to educate Muslims on these principles from the outset and upon their conversion to Islam, and to become a method and path they should follow throughout their lives. These rulings call for the preservation of the five necessities, which are: Religion, Life, Brain, Lineage, and Wealth. The study aims to highlight the importance of religious upbringing onthe preservation of the the five necessities and its impact on the person being preached as reflected in the verses of wisdom in Surah Al-Isra'h, and explore the wisdom in the verses that can assist the preachers in their religious upbringing, and explain the wisdom behind the preservation of the five necessities.

The study consists of introduction and five chapters, followed by conclusion, recommendations and references.

Keywords: Religious Upbringing, Five Necessities, Religious Impacts, Preservation of Necessities.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ من أوائل ما نزل من القرآن الكريم في مكة المكرمة سورة الإسراء ما عدا خمس آيات نزلت في المدينة من بين مائة وإحدى عشرة آية، حيث كان ترتيبها سابعة عشرة من بين سور القرآن الكريم، وجاءت وصايا من الحكمة في السورة،في حوالي ثماني عشرة آية، من الآية الثانية والعشرين حتي التاسعة والثلاثين.

وهي وصايا وتوجيهات أطلق عليها الحكيم العليمبالحكمة، قال السميع الحكيم: ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا [١]، وقال عنها ترجمان القرآن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما-:"ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك؛ لأنّ التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه"[٢].

إنّ حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، والعقول تدلّ على صحتها، فالآتي بمثل هذه الشريعة لا يكون داعيًا إلى دين الشيطان بل الفطرة الأصلية تشهد بأنه يكون داعيًا إلى دين الرحمن [٣].

إنّ ما جاء في آيات الحكمة من شرائع وأحكام بلغت خمسة وعشرين أمرًا ونهيًا، تتفق عليها الملل والأديان وأصحاب العقول والألباب،فإذا عظمت المصلحة أوجبها الرّبُّ في كل شريعة، وكذلك إذا عظمت المفسدة حرّمها في كل شريعة[٤].

ونزلت في مكة لينشأ المسلم عليها منذ بدايته ودخوله في الإسلام، وتصبح له منهجًا ودربًا يسير عليه طيلة حياته، وهذه الأحكام الواردة تدعو إلى حفظ الضروريات الخمس، وتعتبر ضرورة بقيام مصالح الدين والدنيا معًا،بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين[٥].وقد خصصت الضروريات بخمسٍ تتمثل في حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال[٦]. وتتضح أهمية الدراسة في النقاط التالية:

١.أنّ الآيات الواردة في سورة الإسراء البالغة ثماني عشرة آية من الحكمة اشتملت على أحكام وشرائع تدعو إليها الملل والأديان وعقلاء البشر.

٢.أنّ آيات الحكمة تؤكّد على حفظ الضروريات الخمس التي جمعت في آيات معدودة تحتوي على خمسة وعشرين أمرًا ونهيًا، ففيالعمل بها صلاح الدنيا والآخرة.

٣.أهمية التنشئة الدعوية للفرد المسلم على ما جاء في آيات الحكمة، واقتفاء آثارها والالتزام بتوجيهاتها؛ ليكون فردًا ممتثلًا صورة مشرقة تضيء في أرجاء الأرض يعكس صورة حسنة عن الإسلام وأهله.

أسباب اختيار الدراسة:

١. اهتمام الباحث بالدراسات الدعوية القرآنية، والدعوة إلى مزيد العناية بها.

---

(١)سورة الإسراء: ٣٩.

(٢)انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٦٦٨/٢، وانظر: مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٣٤٣/٢٠، وانظر: اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ، ٢٩٠/١٢.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٤٣/٢٠.

(٤)انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، دار المعارف بيروت، لبنان، ٥٥/١.

(٥)انظر: الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٧/٢-١٨.

(٦)انظر: الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٧٨/٣.

٢. الحاجة إلى التوعية بأهمية التنشئة الدعوية للمسلم؛ لظهور التنشئة على المعتقدات الغربية.
٣. الابتعاد عن بعض الأوامر الحكيمة والتوجيهات السديدة التي في سورة الإسراء، والتي ينبغي للمسلم أن ينشأ عليها ويعمل بموجبها ويدعو إليها.
٤. اشتمال آيات سورة الإسراء على وصايا توجّه الدعاة وتعينهم على التأثير في المدعوّ.

أهداف الدراسة:

١.إبراز أهمية التنشئة الدعوية على حفظ الضروريات الخمس وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.
٢. الكشف عن الوصايا الحكيمة في آيات سورة الإسراء التي تعين الدعاة في الأعمال الدعوية.
٣. بيان حِكَم الشارع في الضروريات الخمس ووجوب حفظها وتوظيفها توظيفًا دعويًّا.

تساؤلات الدراسة:

١.ما التنشئة الدعوية على حفظ الضروريات الخمس وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء؟
٢. ما حِكَم الشارع في حفظ الضروريات الخمس وأهمية التنشئة الدعوية عليه؟
٣. ما الوصايا الواردة في آيات سورة الإسراء وكيف توظَّف في التنشئة الدعوية؟

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: الضروريات الخمس وأثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي، للباحث د.عباس إبراهيم أحمد محمود، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، في عددها الثالث بتأريخ سبتمبر ٢٠١٨م. اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث، عرّف الباحث بالضروريات الخمس في المبحث الأول، وفي المبحث الثاني التأصيل للأمن الاجتماعي، والمبحث الثالث: أثر الضروريات الخمس في تحقيق الأمن الاجتماعي وتطبيقات عليه، وخاتمة وتوصيات.

ومما يظهر أنّ البحث يتفق مع بحثي في إيرادالضروريات الخمس إلا أنّ الباحث -حفظه الله ورعاه- اقتصر على الجانب الاجتماعي بشكل عام، وبحثي سيتركز على التنشئة الدعوية في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

الدراسة الثانية:المصالح الدعوية في ضوء المقاصد الشرعية الإسلامية، للباحث د.أحمد بن علي الخليفي، بحث منشور في مجلة الدراسات الدعوية، في عددها الثالث، محرم ١٤٣١ه.احتوى البحث على أربعة فصول، سمى الفصل الأول بالمقاصد والمصالح في الشريعة الإسلامية، وأدرج تحته مبحثين:مفهوم المقاصد والمصالح والمفاسد وأهمية معرفتها للدعاة، والمبحث الثاني الأدلة على مراعاة الشريعة الإسلامية للمقاصد والمصالح، وأما الفصل الثاني فسماه بـتقسيم مقاصد الشريعة باعتبار المصالح الدعوية وترتيبها، ويندرج تحته ثلاثة مباحث: المصالح الدعوية الضرورية والحاجية والتحسينية، والفصل الثالث سمي بتقسيم المقاصد الدعوية باعتبار حفظ الضروريات، وفي هذا الفصل خمسة مباحث، مقصد المحافظة على الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وأما الفصل الرابع ففيه الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد، وتحته مبحثان: ضوابط المصالح الدعوية، والدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد.

يتفق هذا البحث مع بحثي في التخصّص الدعوي وفي الضروريات الخمس،ويختلف عنه في أنه لمتشتمل دراسته على التنشئة الدعوية على حفظ الضروريات الخمس في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

الدراسة الثالثة: آيات الحكمة دراسة تحليلية وموضوعية، للباحث أ.د.قوام الدين عبدالستار محمد الهيتي، بحث علمي تضمّن ثلاثًا وستين صفحة، وهو بحث في التفسير الموضوعي.

يتكوَّن البحث من ستة مباحث، أورد الباحث في المبحث الأول تعريف الحكمة وبيان فضلها، وفي المبحث الثاني بيان المراد من الحكمة التي علمها الرسول -ﷺ- أمته، والمبحث الثالث الحكمة التي آتاها الله النبيين، والمبحث الرابع الحكمة التي آتاها الله غير النبيين، والمبحث الخامس الحكمة في الدعوة إلى دين الله تعالى، والمبحث السادس من معاني الحكمة الاعتبار بحال الأمم السابقة.

ويتضح مما سبق أنه دراسة قرآنية تعنى بلفظة الحكمة في القرآن الكريم وعددها ثماني عشرة فقط، ولم يتناول البحث آيات الحكمة في سورة الإسراء من ٢٢-٣٩ بالدراسة، حتى أنّ الآية التاسعة والثلاثين في سورة الإسراء التي وردت فيها لفظة الحكمة لم تشملها الدراسة؛ ولذا يظهر أنّ سورة الإسراء بكاملها ليست محطّ نظر الباحث، وأمّا المبحث الخامس من دراسته المتصل بالدعوة فإنه يحتوى على صفحتين ونصف تقريبًا، ومحلّ الدراسة هو الآية الخامسة والعشرون بعد المائةمن سورة النحل فقط.

منهج الدراسة:

سيستخدم الباحث في دراسته منهجين من مناهج البحث العلمي:

١.**المنهج الاستقرائي:**وهو تتبّع الجزئيات كلّها أو بعضها؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً[١]، وسأوظّف-بمشيئة الله- هذا المنهج بتتبّع آيات الحكمة من الآية الثانية والعشرين حتى التاسعة والثلاثين الواردة في سورة الإسراء، وفي القرآن الكريم بما يخدم الضروريات الخمس في الآيات المحددة،حسب ما ورد في خطة البحث.

٢.**المنهج الاستنباطي:**وذلك بالوقوف على الآيات الدالة على أسئلة البحث، ومن ثَمَّ إبراز حفظ الضروريات الخمس فيها، وبيان أهمية التنشئة الدعوية عليها بحسب ما جاء في خطة البحث.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، وتساؤلات الدراسة، والدراسات السابقة،والمنهج العلمي، وخطة البحث، ثمّ خمسة مباحث،فالخاتمة وفيها النتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التنشئة الدعوية على حفظ الدين وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ الدين في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ الدين على المدعوّفي آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المبحث الثاني: التنشئة الدعوية على حفظ النفس وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ النفس في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ النفس على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المبحث الثالث: التنشئة الدعوية على حفظ العقل على المدعوّ وأثرها في آيات الحكمة في سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ العقل في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ العقل على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المبحث الرابع: التنشئة الدعوية على حفظ النسل وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ النسل في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

---

(١)البحث العلمي، د.عبدالرحمن عدس وآخرون، ص٤١، ط: ١، ١٤١٦ه، دار أسامة، الرياض.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ النسل على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المبحث الخامس: التنشئة الدعوية على حفظ المال وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ المال في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ المال على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

المبحث الأول:التنشئة الدعوية على حفظ الدين

وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

المطلب الأول:التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ الدين في آيات الحكمة في سورة الإسراء

قد حدّد علماء الأصول الضروريات بخمس، وذلك باستقرائهم لنصوص الشريعة،وهذه الضروريات الخمس هي:حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.قد دعت إليها سائر شرائع الملل والأديان،كما جعلوا أولى الأولويات منها حفظ الدين. وعند تعارض الدين مع بقية الضروريات تقدم ضرورية الدين، فإذا كان مقصود إحدى العلتين حفظ أصل الدين ومقصود الأخرى ما سواه من المقاصد الضرورية، فما مقصوده حفظ أصل الدين يكون أولى نظرًا إلى مقصوده وثمرته من نيل السعادة الأبدية في جوار ربّ العالمين، وما سواه من حفظ النفس والعقل والنسل والمال وغيره فإنما كان مقصودًا من أجله على ما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [١][٢].

وامتاز الدين الخاتم عن سائر الأديان بحفظ الله له، ولم يبق من الأديان السابقة سوى المحرّف منها، قال سبحانه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [٣]، أنزل الله هذا القرآن بواسطة جبريل -عليه السلام- إلى محمد -ﷺ-، وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل وبلغ محفوظًا من الشياطين،والله هو حافظه في كل وقت وزمان، من كل زيادة ونقصان، وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا بعدما جاءهم العلم بغيًا بينهم، فكان التحريف ولم يكل حفظ القرآن إلى غيره[٤].

والحفظ يبنى على ركيزتين أساسيتين يكفل بهما حفظ الدين، الأولى: حفظ الدين بأركانه وقواعده من جانب الوجود، والثانية: درء المفاسد المحدقة بالدين والمتوقعة منها، من جانب العدم، فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما أشبه ذلك، ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم[٥].

حفظ الدين حاصل في ثلاثة معان، وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فأصلها في الكتاب، وبيانها في السنة، ومكمله ثلاثة أشياء، وهي:الدعاء إليه بالترغيب والترهيب، وجهاد من عانده أو رام إفساده، وتلافي النقصان الطارئ في أصله[٦].

وآيات الحكمة في سورة الإسراء هيأولى الآيات تفصيلًا للأحكام وبيانًا لها، وقد نزلت في مكة لتعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم.وقد ابتدئ التشريع للمسلمين بأحكام عظيمة لإصلاح مجتمعهم وبناء أركانه ليزدادوا يقينًا بارتفاعهم على أهل الشرك وبانحطاط هؤلاء عنهم، وفي جميعها تعريض بالمشركين الذين كانوا منغمسين في المنهيات، وهذه الآيات أول تفصيل للشريعة للمسلمين وقع بمكة، وأنّ ما ذكر في هذه الآيات مقصود به تعليم المسلمين أمر دينهم[٧].ولذا يجبعلى الدعاة إلى الله أن يكون لهم منهج دعويّ يسيرون عليه وفق هدي الشرع الحكيم لتنشئة المدعوّ عليه، سواء كان حديث عهد بالإسلام أو ممن وُلِد فيه ونشأ بين والدين مسلمين، وتتحقق التنشئة الدعوية بحفظ الدين بأربعة ركائز، وهي:تعلُّم الدين، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر عليه.

---

(١)سورة الذاريات: ٥٦.
(٢)انظر: الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٧٥/٤.
(٣)سورة الحجر: ٩.
(٤)انظر: الكشاف، الزمخشري، ٥٧٢/٢.
(٥)انظر: الموافقات، الشاطبي، ١٨/٢-٢٠.
(٦)انظر:المرجع السابق، ٣٤٧/٤.
(٧)انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ٦٥/١٥-٦٦.

والتنشئة الدعوية على حفظ الدين تكون بتعلُّمه وتبصّر به، وأن ينشأ المدعوّ على ما لا يقوم الواجب إلا به، فيتعلم التوحيد بأنواعه الثلاثة من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، ويتعلم نواقضه غضًّا طريًّا كما أمر الخالق سبحانه، ويتفقّه بما أولاه الله من التصدير في الافتراض في آيات الحكمة،ويتعلم أركان الإسلام بعمومها، وأحكام الطهارة بخصوصها، وأحكام الصلاة وما يتبعها من أركان وواجبات ومحظورات، ويتعلم منأحكام الزكاة ما يكفيه للقيامبالواجب، ويتعلم أحكام الصيام ومفسداته،وأحكام الحج وأركانه إن رام القيام به وتذللت السبل لأدائه، والإخلال بهذه الركيزة أعني: ركيزة التعلّم فتح باب شرّ وإخلال بضرورية حفظ الدين والتنشئة عليه دون هدى ونور، فتظهر معالم الشرك وتكثر البدع وتعمّ الخرافة.ولا يتمكن إبليس من الإنسان إلا على قدر قلة العلم، فكلما قلّ علم الإنسان كثر تمكّن إبليس مِنْهُ، وكلما كثر العلمالنافع قلّ تمكُّنه مِنْهُ[١].

والركيزة الثانية من ركائز التنشئة الدعوية على حفظ الدينهيالعمل به، وهو مراد الشارع بخلق بني آدم، قال -عزّ وجلّ-:وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[٢]، ولا تتحقق ركيزة العمل بالدين والتنشئة الدعوية عليه إلا بعد العلم والتبصّر بالدين، فلا يعبد الله إلا بعلم، قال السميع العليم: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ [٣]،فالعلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحِّح للنية المصححة للعمل، فنبّه على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم:"إنّ العلم لا ينفع إلا بالعمل" تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه، فبدأ بالعلم، واستدلّ بهذه الآية على فضل العلم[٤].

والعمل بالدين هو حفظ وصون له، وأولى العمل بشرائع الدين ما افترضه الله، فيقوم المسلم بالفرائض ويؤدّيها ويحافظ عليها،ويتقرّب إلى الله بالنوافل وصالح الأقوال والأعمال، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-أنه قال: قال رسول الله -ﷺ-:"إنّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته[٥].

وحفظ الدين والتنشئة الدعوية عليه يكونبالدعوة إليه فهو حفظ، وقد أمر الله رسله وعباده بالقيام بالدعوة إلى دينه ونشره بين الناس، فقام المرسلون بهذا التكليف خير قيام، وهناكأمر مناط بهذه الأمة للقيام به، قال العزيز الحكيم: وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٦]، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية للدعوة إلى هذا الدين، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه[٧]. ولا تكون الدعوة إلى الدين إلّا بعلم وعلى بصيرة، فالداعيةإلى الدين يدعو بما يعرفه،ولا يكلّف يكلّف إلا بما يستطيع، وأدعى بالقبول أن يكون ممتثلًا لما يدعو إليه، قال الله تعالى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨).

ولا يحفظ الدين إلا بالصبر على ما يواجه المرء من عقبات ومشاق تحول بينه وبين امتثاله لشرع الله، ولذا ينبغيأن يوطن المدعوّ على الصبر في تحقيق رضى الرحمن والعبودية له سبحانه، قال عزّ وجلّ: وَالَّذِينَ

---

(١)انظر: تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ص: ٣٣٤.
(٢)سورة الذاريات: ٥٦.
(٣)سورة محمد: ١٩.
(٤)انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه، ١٦٠/١.
(٥)الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، كتاب، باب التواضع، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧ه، ١٣١/٨.
(٦)سورة آل عمران: ١٠٤.
(٧)انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ٩١/٢.
(٨)سورة البقرة: ٤٤.

جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [١].ويتيقّن بأنّ من أحسن فيما أُمِر به أعانه الله ويسّر له أسباب الهداية، وأنّ من جدّ واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة مطلوبه، فإنّ طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله[٢].

وعند التأمّل فيما افترض الله في آيات الحكمة في سورة الإسراء،وما ساقها لله لنا فيها من التكاليف الشرعية التي تبلغ خمسة وعشرين، نجد أنّمراد الشارع امتثالها جميعًا، وكلّها داخلة في الضرورية الأولى، وهي حفظ الدين، فإنّ المصلحة في غالب الحالات حفظ الدين في الاعتقادات والعبادات، وحفظ باقي الضروريات في المزاجر المحضة، وكلاهما في المركبة من العبادة والعقوبة تشمل الكل[٣].فبدأ بالتكليف الأعظم والذي لا يقبل معه معه عمل عامل ما لم يمتثله، فيبدأ بالنهي الأعظم من الشرك،وخير ما حفظ به الدين ونشأ عليه الفرد المسلم التوحيد، فيبين أهميته وفضله وأقسامه، ويحذر من ضدهالشرك في العبادة، وهو أعظم ذنب عصي الله به، ونهي ما قام الرسل -عليهم السلام- بالنهي والتحذير منه، قال سبحانه: لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا [٤]، والمراد المكلفون من الأمة، أن لا تجعل أيها المكلّف في عبادتك ربَّك له شريكًا فتكون مذمومًا على إشراكك ومخذولًا؛ لأنّ الرب تعالى لا ينصرك، بل يكلك إلى الذي عبدت معه، وهو لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا؛ لأنّ مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له[٥].

والآية الثانية الدالة على حفظ الدين وأهمية التنشئة عليه، قول السميع البصير:وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [٦]. هذه الآية افتتحت بفعل القضاء المقتضي الإلزام، وهو مناسب لخطاب أمة تمتثل أمر ربها وتنقاد له، والمقضيّ في الآية هو توحيد الله بالعبادة، ويلزم منه التحذير من عبادة غير الله[٧].وهذه الآية تدلّ على وجوب عبادة الله تعالى،وعلى المنع عن عبادة غير الله تعالى وهذا هو الحقّ الذي أُمِر بهالإنسان، وذلك لأنّ العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام، ونهاية الإنعام عبارة عن إعطاء الوجود والحياة، والقدرة والشهوة والعقل، وقد ثبت بالدلائل أنّ المعطي لهذه الأشياء هو الله تعالى لا غيره، وإذا كان المنعم بجميع النعم هو الله لا غيره، لا جرم كان المستحقّ للعبادة هو الله تعالى لا غيره، فثبت بالدليل العقلي صحة استحقاقه لذلك[٨].

والآية الثالثة الدالة على حفظ الدين وأهمية التنشئة عليه، قول العزيز الحكيم: ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا [٩]، ولا تجعل مع الله إلهًا آخر كرّره للتنبيه على أنّ التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، فإنّ من لا قصد له بطل عمله، ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه، وأنه رأس الحكمة وملاكها، ورتب عليه أوّلًا كونه مذمومًا مخذولًا، وذلك إشارة إلى حال المشرك في الدنيا، ورتب على الثاني أنه يلقى في جهنم ملومًا مدحورًا وأنها حاله في الآخرة[١٠].

---

(١)سورة العنكبوت: ٦٩.
(٢)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ص: ٦٣٥.
(٣)انظر: فصول البدائع في أصول الشرائع، محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري (أو الفَنَري) الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ، ٤٢٢/٢.
(٤)سورة الإسراء: ٢٢.
(٥)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٤/٥.
(٦)سورة الإسراء: ٢٣.
(٧)انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٦٥/١٥-٦٦.
(٨)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٢١/٢٠.
(٩)سورة الإسراء: ٣٩.
(١٠)انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ه، ٢٥٦/٣.

وابتدأت آيات الحكمة التشريع بالنهي عن عبادة غير الله؛ لأنّ ذلك هو أصل الإصلاح، لأنّ إصلاح التفكير مقدَّم على إصلاح العمل، إذ لا يشاق العقل إلى طلب الصالحات إلا إذا كان صالحًا[١].

وبهذه الآيات الكريمة يتبين أهمية هذا التكليف الإلهي وضرورة التنشئة الدعوية عليه، والتنشئة الدعوية على حفظ الدين تتحقق من وجهين أساسيين يكفل بهما حفظ الدين، الأولى: حفظ الدين بأركانه وقواعده من جانب الوجود، والثانية: درء المفاسد المحدقة بالدين والمتوقعة منها، من جانب العدم[٢].

فينبغي للدعاة إلى الله تصميم البرامج الدعوية وتنشئة المدعوّين على حفظ الدين، ببيان العقيدة الصحيحة، وذمّ ما يعبد من دون الله، وتعليمهم أصول الإيمان، وأركان الإسلام وبقية شرائع الدين علىأن يكون ذلكبطرق أربعة:تعليم الدين، والحثّ على تطبيقه وامتثاله في سائر الحياة، والدعوة إليه، والصبر على ذلك، وفق الأساليب والوسائل الدعوية المشروعة التي تناسب كل مدعوّ على حسب حاله.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ الدين على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ لحفظ الدين والتنشئة الدعوية عليه آثارًا عديدة على المدعوّ، ويأتي بعضها في النقاط التالية:

١. تحقيق العبودية لله -عزّ وجلّ-:

قال السميع البصير: إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا [٣]، ما كلّ من في السموات والأرض إلا وهو يأتي يوم القيامة مقرًّا له بالعبودية خاضعين صاغرين أذلاء كلهم عبيده[٤]. وتحقيق العبودية لله في الدنيا والإقرار به حفظ للدين، ومن أنكر الإقرار بالتوحيد في الدنيا فإنّ الجميع سيأتون يوم القيامة مقرِّين به، وبالإقرار بالتوحيد حفظ للدين وينبغي تنشئة المدعوّين عليه منذ صغرهم ويبدأ بتعليم من أسلم حديثًا عليه، فهو الأصل الأصيل والأساس المتين.

٢.استقرار النفس وسكينتها:

قال السميع العليم: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا [٥]، يخبر تعالى عن منّته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن نعم الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت راسخ ونفس مطمئنة، فيستعدّ بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه[٦].وبحسب ثبات المدعوّ وإيمانه بربه تستقرّ النفس وتستكين بربها، فبإيمان المرء تخفّ مصائب الدنيا بأنواعها وأشكالها، قال -عزّ وجلّ-: مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[٧]، ولذا من المهم تنشئة المدعوّين على هذا الأساس، بتعليمهم دينهم والدعوة إلى امتثاله والالتزام به والدعوة إليه والصبر في سبيله.

٣.تحقيق الأخوة الدينية:

قال العليم الحكيم: فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [٨]، اعلم أنه تعالى لما بيَّن حال من لا يرقب في الله إلًّا ولا ذمّة، وينقض العهد وينطوي على النفاق ويتعدى ما حدّ

---

(١)انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٦٧/١٥.
(٢)انظر: الموافقات، الشاطبي، ١٨/٢-٢٠.
(٣)سورة مريم: ٩٣.
(٤)انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي،دار الكتب المصرية، المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ،١٥٩/١١.
(٥)سورة الفتح: ٤.
(٦)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي،ص: ٧٩١.
(٧)سورة التغابن: ١١.
(٨)سورة التوبة: ١١.

حدّ له، بيَّن بعد ذلك أنهم إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين وهو يفيد جملة أحكام الإيمان[١]. والتنشئة الدعوية على حفظ الدين تؤتي أكلها عند المدعوّين إن نشئوا على الدين وتتحقق الأخوة الدينية الحقيقية وتزول كثير من المشاكل التي تعانَى بسبب عدم حفظهم لدينهم والعمل بموجبه.

٤.تحقيق الأمن والاستقرار:

قال الله -عزّ وجلّ-: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ [٢]،الذين صدَّقوا الله وأخلصُوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بشرك، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصة، أحقّ بالأمن من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنامَ، فإنهم الخائفون من عقابه، أمَّا في عاجل الدنيا فإنهم وجِلون من حلول سخَط الله بهم، وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذابِ الله، ولا يتحقق ذلك إلا بامتثال الدين وحفظه والتنشئة عليه[٣]. وبتحقيق الإيمان وعدم لبسه بشرك يتحقق الأمن، وإلى تحقيق هذا الهدف تسعى نظم البلدان بوسائلها المتقدمة الحديثة، ولن يحقِّقه الله سبحانه إلا لمن استوفى شرطه، ولذا على الدعاة إلى الله السعي الحثيث على حفظ الدين وتنشئة المدعوين عليه،وبالمحافظة على الأصل العظيم يتحقق استقرار البلدان.

٥. المتاع الدنيوي والأخروي:

قال سبحانه: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٤]،هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحًا، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإنّ هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، وهذا مستلزم بالعمل بهذا الدين وفق هدي الشرع الحنيف وصراطه المستقيم، وهذا من صور حفظ الدين الذي ينشأ المرء عليه[٥].

جعل سبحانه الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحًا، وضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة والحسني يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين وهم أحياء في الدارين[٦]. فكفل سبحانه لمن آمن وعمل صالحًا الحياة الطيبة، وهذا متحقق لمن وفى بما طلب منه، وهذا لا يحصل إلا بحفظ الدين، وتنشئة المدعوّين على تلك التوجيهات الربانية التي غايتها طاعة الرحمن تحقِّق ثمرات دنيوية وأخروية تترتب عليها المتعة الدنيوية والأخروية.

وفي آيات الحكمة في سورة الإسراء بيَّن سبحانه الآثار المترتبة على الامتثال بأمره، ويكتفي الباحث بالحديث عن خمسة آثار، وأما الآثار المترتبة على من لم يمتثل أمر الله فيما قضى وأوجب ففيما يلي أثران:

٦. الذم والخذلان في الدنيا والآخرة:

قال المجيد العليم: لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا [٧]، لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا يذمّك الناس بفعلك، مخذولًا ويخذلك الذي تعبده، فتبقى في النار يذمك الله ويذمك الناس وتذم نفسك مخذولًا، يخذلك معبودك ولا ينصرك، وهذا الصنيع بسبب عدم حفظ دين الله الذي شرعه وأوجبه[٨].فأعظم الناس خذلانًا من تعلّق بغير الله أيًّا كان، فإنّ مافاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلّق به وهو

---

(١)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٣٣/١٥.
(٢)سورة الأنعام: ٨٢.
(٣)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٤٩٢/١١.
(٤)سورة النحل: ٩٧.
(٥)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٠١/٤.
(٦)انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،دار الكتب العلمية،بيروت، ص: ٨٤.
(٧)سورة الإسراء: ٢٢.
(٨)انظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ٣٠٦/٢.

معرض للزوال والفوات[١]. وعدم حفظ الدين والعناية بتنشئة المدعوين عليه تحصل تلك المخالفات والتجاوزات فيما أُمِرنا به ونُهينا عنه، ولذا من المهم تنشئة المدعوّ على التوحيد ومعرفة ضدّه،فالأشياء تعرَف وتتميز بالضدّ،يروى عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال:"إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"، وهذا حال كثير من المدعوّين، ممن نشأ في عافية الإسلام وما عرف ما يعارضه ليتبين له فساده فإنه لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في قلب من عرف الضدّين، ومن الكلام السائر: الضدّ يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء[٢].

٧. اللوم والدحور في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا [٣]، أنَّ المشرك يلقى في جهنم ملومًا مدحورًا، فاللَّوم والخذلان يحصل في الدنيا، وإلقاؤهُ في جهنم يحصل يوم القيامة، والفرق بين الملوم والمدحُور، وبين المذموم والمخذول أنَّ المخذول هو الضعيف، يقال: تخاذلت أعضاؤه، أي: ضعفت، والمدحور هو المطرود، والطَّرد عبارة عن الاستخفاف والإهانة، فكونه مخذولًا عبارة عن ترك إعانته، وتفويضه إلى نفسه، وكونه مدحورًا عبارةٌ عن إهانته، فيصير أوَّل الأمر مخذولًا وآخره يصير مدحورًا، وهذا شأن من لم يراع حفظ دينه الذي أمر به ولم ينشأ عليه نشأت دعوية[٤].فختم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك، ليس إخبارًا بأنه ما عبد أحد إلا الله، وأنّ الله قدر ذلك،وإنما هو تأكيد على أنّ من عبد من دون الله فمآله جهنم ملومًا مدحورًا[٥].

والتنشئة الدعوية على حفظ الدين لها آثار في الدنيا والآخرة، ومن لم يحظ بهافمآله في ضعف وخذلان جزاء مخالفته لهدي الإسلام وعدم إقراره لله بالوحدانية. ولأهمية التوحيد بُدئ به في مطلعآيات الحكمة وختم به، وما ذلك إلا لأهميته وضرورة تنشئة المدعوّ عليه، فأولى المهمات أن يجعل الداعية حفظ الدين من أولى الضروريات، والتوحيد على وجه الخصوص، فينوّع بين الموضوعات الدعوية،والوسائل الدعوية، وبأساليب تناسب حال المدعوّين وتتواكب مع قدراتهم ومستوياتهم الفكرية والعلمية.

وبهذا القدر يتّضح بعض آثار التنشئة الدعوية على حفظ الدين على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

---

(١)انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ه،٤٥٨/١.

(٢)انظر: درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٤١٧هـ، ٢٥٩/٥.

(٣)سورة الإسراء: ٣٩.

(٤)انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل النعماني، ٢٩٢/١٢.

(٥)انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٣٣/٢٤.

المبحث الثاني: التنشئة الدعوية على حفظ النفس

وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ النفس في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ من الضروريات التي أولتها الأديان الحنيفية عناية فائقة، ودعت إليها الشرائع حفظ النفس والتنشئة عليه، لما لها من الفائدة العظمى في الدنيا والآخرة؛ ولذا يقدم حفظ النفس بعد حفظ الدين على حفظ النسب والعقل والمال؛ لأنّ الكل فرع بقاء النفس فيقدّم عليه(١).

وعند التأمّل في الآيات القرآنية وخصوصًا المكية منهانجد الأمر واضحًا في التأكيدات الإلهية على حفظ النفس وضرورة التنشئة عليه، وقد جاء التوجيه للمؤمنين بالنهي عن القتل لما له من الضرر النفسي على القاتل، قال السميع البصير: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ (٢)،مع كون القاتل مؤمنًا بالله واليوم الآخر، قد يلحقه من الغم والأذى ما يكون القتل عليه أسهل من ذلك، ولذلك نرى كثيرًا من المسلمين قد يقتلون أنفسهم بمثل السبب الذي ذكرناه، وإذا كان كذلك كان في النهي عنه فائدة عظمى(٣). وقد قتل بني الله موسى -عليه السلام- قبل نبوته خطأً كافرًا معتديًا إلا أنّ هذا القتل لحقه من الغم الذي امتنّ الله عليه بزواله عنه، قال السميع الحكيم: وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (٤)،أي: قتلتَ القبطي الذي وكزته فقضيت عليه، وكان قتلك له خطأ، فنجيناك من الغمّ الحاصل معك من قتله خوفًا من العقوبة الأخروية أو الدنيوية أو منهما جميعًا(٥).

وأوجب الله سبحانه حفظ النفس والتنشئة على هذا الأصل الأصيل والمبدأ الرفيع، فإزهاق النفس جرم شنيع ومعصية عظيمة، فلم يوجب -عزّ وجلّ- إلا ما يوجب قتلها، قال الحكيم المجيد، : وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (٦)،وموجبات القتل إحدى ثلاث:الكفر بالله بعد الإسلام، أو زنا بعد الإحصان، أو قتل نفسزكية، وما عداهنّ فهو اعتداء(٧).

ومن الأحكام الرادعة عن قتل النفس مشروعية القصاص، قال العزيز الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى (٨)،وقد حمى الله الأنفس وصانها؛ ولذلك شرع القصاص حياطة لأنفس الناس؛ لأنّ من أعظم السدّ دون القتل شرعية القصاص، ولهذا قال -عزّوجلّ-: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٩)(١٠).فمن قتل دون سبب شرعي موجب للقتل فقد تعدّى وظلم، قال سبحانه: وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (١١)، وهذا وعد ووعيد وتهديد شديد وتوكيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله(١٢).

وعند التأمّل في آيات الحكمة في سورة الإسراء نجد أنّ المولى سبحانه حذّر عباده المؤمنين من هذا الذنب العظيم، ومن ذلك تحذيره منقتل الأولاد خشية الفاقة، فقال الله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ

---

(١)انظر: تيسير التحرير، محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي،دار الفكر، بيروت، ٨٩/٤.
(٢)سورة النساء: ٢٩.
(٣)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٨/١٠.
(٤)سورة طه: ٤٠.
(٥)انظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ،٤٣٢/٣.
(٦)سورة الفرقان: ٦٨.
(٧)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣٠٣/١٩.
(٨)سورة البقرة: ١٧٨.
(٩)سورة البقرة: ١٧٩.
(١٠)انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ، ١٧٧/٢.
(١١)سورة النساء: ٩٣.
(١٢)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٧٦/٢.

وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا [١]،والسبب الداعي إلىقتل الأطفال خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك، وأخبرهم أنّ رزقهم ورزق أولادهم عليه-جلّ جلاله-[٢].وسبب إقدامهم على ذلك هو ضعف إيمانهم برازقهم وسوء ظنّهمبه، قال -عزّ وجلّ-: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٣]، ومن عرف أنّ الرازق هو الله خفّ عن قلبه همّ العيال وإن كثروا وزادت مطالبهم، ومن خفي عليه أنه قسم أرزاقهم تطوح في متاهات مغاليطه، فيقع فيها بالقلب والبدن ثم لا يكون غير ما سبق به التقدير[٤].

كما حذّر الله سبحانه في آيات الحكمة من قتل النفس دون وجه حقٍّ ولا لمبرّر شرعي، ذكر أنّه ليس لوليّ المقتول حقّ الاقتصاص ممن اقترف هذا الذنب العظيم وقتل نفسًا ظلمًا،وإنما الأمر بيد الإمام الحاكم والسلطان المتبع، وهذا الحكم يدعو إلى حفظ النفس، فلو ترك الأمر لأولياء المقتول لأزهقت الأنفس وسفكت الدماء ولاستشرى الفساد، قال السميع البصير: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا [٥]، ومن دلالة الإشارة في قوله تعالى: "فقد جعلنا لوليه سلطانًا" الإشارة إلى إبطال تولّي وليّ المقتول قتلَ القاتل والاستيفاء منه دون حكم من السلطان؛ لأنّ ذلك مظنة للخطأ في تحقيق القاتل، وذريعة لحدوث قتل آخر بالتدافع بين أولياء المقتول وأهل القاتل، ويجرّ إلى الإسراف في القتل الذي ما حدث في زمان الجاهلية إلا بمثل هذه الذريعة، فضمير فلا يسرف عائد إلى وليّه[٦].

ومن الأدلة على حفظ النفس في آيات الحكمة البرّ بالوالدين وعدم عقوقهم، فإنّ عقوقهم يدعو الوالدين إلى ترك الأبناء، فيكون ذلك سبب في انقطاع النفس، قال السميع العليم: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [٧].امتناع الأولاد من البرّ بالآباء يوجب خراب خراب العالم وفساده؛ لأنّ الآباء إذا علموا ذلك قلّت رغبتهم في تربية الأولاد، فيلزم خراب العالم من الوجه الذي قررناه، فثبت أنّ عمارة العالم إنما تحصل إذا حصلت المبرة بين الآباء والأولاد من الجانبين[٨].وفي جانب الآباء قيامهم بمسؤوليتهم الموكّلة إليهم من تربية وتعليم، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدًى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا[٩].

والتنشئة الدعوية على حفظ النفس للمدعوّ بطرق الحفظ الأربعة: بالتعلّم، والتطبيق العملي، والدعوة إليه، والصبر على ذلك، وفق الأساليب والوسائل الدعوية المشروعة التي تناسب المدعوّ كلٌّبحسب حاله، فتصمم البرامج الدعوية المتصلة بحفظ النفس، فيبين للمدعوّحرمة سفك الدماء المعصومة من مسلمين إلّا بإحدى ثلاث:الكفر بالله بعد الإسلام، أو زنا بعد الإحصان، أو قتل نفسطاهرة،كما أنّغير المسلمين من المعاهدين يحرم دمه وسفكه، ولحفظ النفس جاءت مشروعية القصاص، ولا يسوغ الاقتصاص لعامة الناس، بل هو موكّل للإمام، وتحفظ النفس بالتطبيق العملي، وذلك بعدم قتلها أو إلحاق الضرر بها لمخالفتها للنظم التنظيمية الشرعية كذهاب للجهاد دون إذنٍ من ولي الأمر، فينظم تحت رايات وجماعات مخالفة شرعًا أو تنظيمات أغراضها وأهداف مشبوهة، أو مخالفةً للنظم المدنية،ونظم السلامة في أماكن العمل أو المصانع أو مخالفة لنظم قيادة المركبات كتجاوز للسرعة المرصودة، وغير ذلك مما يلحق الضرربالنفس أو يسبّب إزهاقها وإتلافها، ومن هنا يجب على الدعاة إلى الله

---

(١)سورة الإسراء: ٣١.
(٢)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٤٣٦/١٧.
(٣)سورة الذاريات: ٥٨.
(٤)انظر: لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ٢٤٦/٢.
(٥)سورة الإسراء: ٣٣.
(٦)انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور،٩٦/١٥.
(٧)سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.
(٨)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٠/٢٠-٣٣١.
(٩)انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ص: ١٦١.

توعية المدعوّين بضرورة تقيّد الإنسان بالنظم المختلفة الداعية إلى تحقيق السلامة الجسدية حال امتثالها، وإلحاق الضرار البليغة بها حال مخالفتها، وهذا الفعل دعت إليه الشريعة، وأمرت به، ودعت إلى الحفاظ على الأنفس وأهمية التنشئة عليه.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ النفس على المدعوّ

في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ لحفظ النفس والتنشئة الدعوية آثارًا عديدة على المدعوّ، وسأذكر بعضها في النقاط التالية:

١.تحقيق الأمن والاستقرار:

قال السميع البصير: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [١]،فإنّ في تشريع القصاص حفظًا للبشرية، وبقاء مَنْ همَّ بالقتل ومنيهمّ به،وفي بقائهما بقاء مَنْ يتعصّب لهما؛ لأنّ الفتنة تعظم وتتفاقم بسبب القتل، فتؤدي إلى المحاربة التي تنتهي إلى قتل جماعة من الناس، وفي شرع القصاص زوال لكل ذلك، فيصير حياة للكلّ[٢]. فحفظ النفس تحقيق لما أوجبه الله على الناس بامتثال أمره واجتناب نهيه، وهذا يتحقق بإقامة القصاص في المجتمع لمن يقدم عليه، فهو رادع إلهي وزاجر رباني به تستقر النفوس.

٢. تحقيق العدل بين الناس:

قال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ [٣]،هذا صنف من التشريع، فيه صلاح للمجتمع الإسلامي واستتباب نظامه وأمنه، والقصاصجزاء وفاق،على القتل القتل ظلمًا قتْلُ القاتل، ويتجلّى معنى التعادل والتماثل في ذلك الجزاء[٤]. وحفظ النفس يتحقق بإقامة العدل بين أفراد أفراد المجتمع، فمن قَتَل قُتِل ما دام وليّ الدم لم يعفُ فهو ميزان شرعي وحكم عدل.

وبآيات الحكمة في سورة الإسراء بيَّن سبحانه أثرين لمن لم يمتثل أمر الله فيما قضى وأوجب، وهي واضحة في جانب عدم امتثال حفظ النفس ومراعاة حرمتها، ويتضح بضدّ الأثرين المذكورين لمن يمتثل أمر اللهالجانب السلبي أو العكسي لمن لم يستجب.

٣. أنّ قتل الأولاد سوء ظنٍّ بالله:

قال المجيد الحميد: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا [٥]،إنكان [٥]،إنكان الدافع إلى قتل الأولاد هو الخوف من الفقر فإنّه سوء ظنّ بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فإنه سعي إلى تخريب العالم، فالأول ضدّ التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني: ضدّ الشفقة على خلق الله تعالى، وكلاهما مذموم[٦].ولما كان القتل موجودًا نهى الشارع عنه في بادئ الإسلام ودعا إلى حفظ النفوس ولا سيما من هم أقرب الناس وهم الأولاد والبنات؛ لأنّ في قتلهم إبادة البشر،والدافع إلى القتل أمرٌ غير متحقّق، فالرزق بيد الله سبحانه، فهو المعطي ومقسّم الأرزاق، وليس في رزق الأولاد تضييق على رزق الآباء؛ لذا جعل الله هذا الفعل الشنيع من الأخطاء الكبرى.

٤. أنّ حفظ النفس إعمار للأرض:

قال -عزّ وجلّ-: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا [٧]، فالتأمّل في خلق هذا العالم يهدي العقول إلى أنّ الله أوجد الإنسان ليعمر به الأرض، فالإقدام على إتلاف نفس هدمٌ لما أراد الله بناءه، على أنه قد تواتر وشاع بين الأمم في سائر العصور

---

(١)سورة البقرة: ١٧٩.
(٢)انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل النعماني، ٢٢٨/٣.
(٣)سورة البقرة: ١٧٨.
(٤)انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ١٣٤/٢-١٣٦.
(٥)سورة الإسراء: ٣١.
(٦)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٠/٢٠-٣٣١.
(٧)سورة الإسراء: ٣٣.

والشرائع من عهد آدم صون النفوس من الاعتداء عليها بالقتل، فبذلك وصفت بأنها التي حرم الله، أي: عرفت بمضمون هذه الصلة[١]. فلا تعمر الأرض ولا تزدان الدنيا، ما دام الهرج في مجتمع تسوده فوضى القتل دون وجه حقٍّ، فإعمار الأرض أثر ناشئ من إقامة القصاص، ولذا من المهم على الدعاة توعية النشء على الشجار الناشئ بين الشباب الذي قد يكون بدايته أمر لا يستحقّ أن يصل إليه، فتحدث المصائب جراء هذا الأمر بحضور الشيطان وأعوانه، وتعزّزه نيران الجهل، فاللهم آمنّا في دورنا واهدِ شبابنا أجمعين.

وبهذا القدر يتضح بعض آثار التنشئة الدعوية على حفظ النفس على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

(١)انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٩٢/١٥.

المبحث الثالث: التنشئة الدعوية على حفظ العقل على المدعوّ

وأثرها في آيات الحكمة في سورة الإسراء

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ العقل في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ من الضروريات الخمس التي أولتها الشريعة الإسلامية بالعناية والاهتمام حفظ العقل الذي هو مناط التكليف.والصحيح الذي يعول عليه أنّ التفضيل بين الإنسان وسائر الكائنات إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف ومناطه،وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويتوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب(١). وحفظ العقل صونه من كل شيء يؤثر عليه أو يعطله أو يحدث خللًا في منظومة الفكر. وقد جاءت التأكيدات على هذا المقصد في بدايات العهد المكي، وجاء ما يؤكد عليه في آيات الحكمة في سورة الإسراء، وعند التأمل في الآيات القرآنية نجد أنها تدعو إلى التنشئة الدعوية على حفظ العقل، فتارة تأمر باتباع هدي الشرع وترك ما ألفه العقل ونشأ عليه، قال السميع البصير: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (٢)،فأمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا إلى التقليد، وقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا؛ لأنهم كانوا خيرًا منّا وأعلم، فعلى هذا يعمّ ما أنزل الله تعالى التوراة؛ لأنها أيضًا تدعو إلى الإسلام(٣).

وتارة يأمر بالنظر والتفكّر في آيات الله الكونية الدالة على وحدانيته -جلّ جلاله-، وبطلان ما دونه من الآلة، قال السميع الحكيم: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤)، فينبغي لهم أن يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها؛ لأنهم إذا سافروا وارتحلوا مرّوا بأماكن قوم صالح، وأماكن قوم لوط، وأماكن قوم هود، فوجدوا بلدانهم خالية وآثارهم منطمسة لم يبق منهم داع ولا مجيب، لتكذيبهم رسلهم، وكفرهم بربهم، فيدركون بعقولهم أنّ تكذيبهم نبيهم لا يؤمن أن يسبّب لهم من سخط الله مثل ما حلّ بأولئك القوم، وتكون لهم آذان يسمعون بها ما قصّ الله في كتابه على نبيه من أخبار تلك الأمم، فيحذروا أن يحلّ بهم مثل ما حلّ بأولئك(٥).

وتارة أخرى ينهي عن مجالسة أهل الزيغ والضلال إذا غلب على الظنّ ألا يستجاب لنصح الناصحين؛ لما في هذه المجالسة من التأثّر بهم، فحماية العقل مطلب شرعي، قال العزيز الكريم: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦)،وفي هذه الآية موعظة بليغة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرّفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزّهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حقّ معرفتها علم أنّ مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما يتفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقدًا أنه من الحقّ وهو الباطل وأنكر المنكر(٧).

---

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٩٤/١٠.

(٢)سورة البقرة: ١٧٠.

(٣)انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٨٨/١.

(٤)سورة الحج: ٤٦.

(٥)انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ٢٧٤/٥.

(٦)سورة الأنعام: ٦٨.

(٧)انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١٤٦/٢.

وعند التأمّل في آيات الحكمة في سورة الإسراء نجد أنّ الله -عزّ وجلّ- نهى عباده عن القول بلا علم أو العمل بدون علم، وخاطب المولى أدوات التعلم من سمع وبصر وفؤاد، ومردّ ذلك للعقل، فهو أمر بحفظه وأمر بالتنشئة عليه، قال الله تعالى: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [١]، فهذا أمر بإصلاح اللسان والقلب،ونهي أن يقول الرجل ما لا يعلم أو يعمل بما لا علم له به، وهذه قضية كلية[٢]. وعبّر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك؛ لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسؤولة، فهي حالة من يعقل[٣]، وعلة النهي عن العمل بدون علم هي أنّ السمع والبصر والفؤاد مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها، وأجريت مجرى العقلاء[٤].

والتنشئة الدعوية على حفظ العقل للمدعوّ تكون بطرق الحفظ الأربعة: بالتعلّم، والتطبيق العملي، والدعوة إليه، والصبر على ذلك، وفق الأساليب والوسائل الدعوية المشروعة التي تناسب المدعوّ كلٌّ حسب حاله، فتصمم البرامج الدعوية المتصلة بحفظ العقل، وتحثّ على التفكير النافع بما يعود بالفائدة على المدعوّ في دنياه وآخرته، ويبيّن للمدعوّ خطورة القول بدون علم أو العمل بلا علم، بل عليه العمل وفق الدليل الشرعي،فالإنسان لا يجوز له أن يثبت شيئًا إلا بعلم، ولا يجوز له أن ينفي شيئًا إلا بعلم؛ ولهذا كان النافي عليه الدليل، كما أنّ المثبت عليه الدليل[٥].

هكذا ينبغي للمرء أن يجنب نفسه الأفكار والعقائد الباطلة الواردة عن طريق قراءة كتبهم أو مخالطتهم التي تفسد عليه عقله، طال الوقت أو قصر، وأن يجنب نفسه الجلوس مع أهل البدع والأهواء.فإذا كان الله تعالى قد مدح وأثنى على من أعرض عن اللغو ومرّ به كريمًا لم يستمع إليه فكيف يكون استماع كل قول ممدوحًا[٦]. ولا يسوغ لعامة الناس وآحادهم دعوة أهل البدع والزيغ والضلال دون علم ومعرفة.وهذا كله يؤكّد ضرورة العناية بالعقل وحفظه مما قد يحدق به أو يلحق به الضرر، ولذا ينبغي تنشئة الشباب وحثّهم على كل نافع ومفيد من العلوم الشرعية والتطبيقية، وتحذيرهم من المخدرات وآفاتها والأفكار المنحرفة الفاسدة.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ العقل على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ لحفظ العقل والتنشئة الدعوية عليه آثارًا عديدة على المدعوّ، وبعضها في النقاط التالية:

١.الصدّ عن ذكر الله:

قال السميع العليم: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ [٧]،في هذه الآية التحذير عنفعل ما يوجب فساد العقل ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وما يدعو الشيطان إليه ويزيّنه من شرب الخمر حتى يسكر منها شاربها، فيقدم على القبائح ويعربد على جلسائه، فيؤدي ذلك الفعل إلى العداوة والبغضاء[٨]. وهذا ناتج عن عدم حفظ العقل وانتهاك ما نهى الله عنه وزجر، ولذا نجد الشريعة الغرّاء قد حرمت شرب الخمر ورتبت على شاربها الحدّ، لما يترتب على شاربهامن زوال عقله وصدّه عما أمره الله ونهاه عنه،فشرب الخمر وتعاطي المخدرات يتنافىمع حفظ العقل، وهذا أثر حادث حال ممارسةهذا الفعل.

---

(١)سورة الإسراء: ٣٦.

(٢)انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ٣٣٨/٤.

(٣)انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٤٥٦/٣.

(٤)انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٢٧٠/٣.

(٥)انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ٥١٤/٦.

(٦)انظر: الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،ط١، ١٤٠٣ه، ٢١٨/١. ٢١٨/١.

(٧)سورة المائدة: ٩١.

(٨)انظر: أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ه، ١٢٨/٤.

٢.تمييز الإنسان عن سائر المخلوقات:

قال السميع البصير: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا [١]،عدّد الله سبحانه على بني آدم ما خصّهم به من المزايا من بين سائر الحيوان، ومن أفضل ما أكرم به الآدمي العقل الذي به يعرف الله تعالى، ويفهم كلامه ويعقل، ويتوصل إلى نعيمه[٢]. وهذا التمييز التمييز كامن فيما حبا الله هذا الإنسان من عقل وهو مناط التكليف، وبعدم توظيف نعمة العقل وفق شرع الإله تسلب هذه المزية وهذه الخاصية، فيكون كما قال السميع العليم: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [٣]. فشبّه الله أكثر الناس بالأنعام، والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له، وجعل الأكثرين أضلّ سبيلًا من الأنعام؛ لأنّ البهيمة يهديها سائقها فتهتدي، والأكثرون يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون، والأنعام تفرق بين ما يضرّها فيالمآكل والمشارب فتتجنبه وما ينفعها فتؤثره،ولم يخلق الله للأنعام قلوبًا تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها، وأعطى ذلك لبني آدم ثم لم ينتفعوا بها، فإنّ من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل إليه أضلّ وأسوأ حالًا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه[٤].

٣.شرار الخلق وأسوؤهم:

قال العزيز المجيد: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ [٥]،إنّ شرّ من يدبّ على وجه الأرض البهائم، وإنّ شرّ البهائم الذين هم صمٌّ عن الحقّ والهدى فلا يعقلونه، جعلهم الله من جنس البهائم ثم جعلهم شرّها؛ لأنهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل[٦].فقد وصف اللهأهل الشقاء بأوصاف عديدة، مرة شبّههم بعدم العلم، وشبّههم بالأنعام تارة، وتارة بالحمار الذي يحمل الأسفار، وتارة جعلهم أضلّ من الأنعام، وتارة جعلهم شرّ الدواب عنده، وتارة جعلهم أمواتًا غير أحياء، وتارة أخبر أنهم في ظلمات الجهل والضلال، وتارة أخبر أنّ على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرًا وعلى أبصارهم غشاوة،وهذا كله يدلّ على قبح الجهل وذمّأهله وبغضه لهم[٧].وهذا الوصف حال عدم حفظ العقل وإعماله بما يوجبه البارئ-عزّ وجلّ- فيكون من شرار الدواب وأسوئهم.

٤.حساب الإنسان بما تعقله جوارحه:

قال الله سبحانه: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [٨]،فحقيقٌ بالعبد العاقل الذي يعرف أنه مسؤول عما قاله وفعله وعمّا استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن أن يعدّ للسؤال جوابًا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها في عبودية الله وإخلاص الدين له وكفّها عما يكرهه الله تعالى[٩].

لا تتبع ما ليس لك به علم، وهذا النهي يشمل كلّ شيء، كل شيء ليس لك به علم فلا تتبعه، بل أعرضْ عنه ولا تتكلم فيه؛ لأنك قد تكون على خطأ، وإن كان الخطأ فيما تنسبه إلى الله ورسوله فهو أشدّ المحرمات إثمًا، وكذلك إذا قفوت ما ليس لك به علم بالنسبة إلى أخبار الناس،فتنقل عن شخص أنه قال كذا وكذا وهو لم يقله، فتقول ما ليس لك به علم، وهذا منهي عنه أيضًا[١٠].

وبهذا القدر يتضح بعض آثار التنشئة الدعوية على حفظ العقل على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

---

(١)سورة الإسراء: ٧٠.

(٢)انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٤٨٦/٣.

(٣)سورة الفرقان: ٤٤.

(٤)انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ١٨٨/١.

(٥)سورة الأنفال: ٢٢.

(٦)انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٤١٩هـ، ٦٣٨/١.

(٧)انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٦٠/١.

(٨)سورة الإسراء: ٣٦.

(٩)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي،ص: ٤٥٧.

(١٠)انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صال بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ه، ١١١/٦.

المبحث الرابع: التنشئة الدعوية على حفظ النسل

وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ النسل في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ حفظ النسل من الضروريات التي دعت إليه الشرائع، وأكدته بالعناية والاهتمام،ودعت إلى صيانته، فبحفظ النسل بقاء الجنس البشري وفق منظومة شرعية، دعت إلى النكاح وحثّت على التزاوج ورغبت في التكاثر والإنجاب، وحرمت الشريعة كل ما يحدث خللًا في منظومة النسل من زنا وإجهاض وتبنٍّ وقذف، وبهذه التشريعات يحمى هذا الأصل الأصيل، ويعدّ الزواج اللبنة الأولى في استمرارية الجنس البشري؛ ولذا حثت الشريعة الإسلامية عليه، قال السميع البصير: وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [١]،أمر الله تعالى بالنكاح ورغب فيه ووعد المتزوج بالغنى إن كان فقيرًا ترغيبًا له في النكاح وتشجيعًا له على الإقدام عليه،وأن يكونواثقًا بالله معتمدًا على فضله وسعة جوده وعلمه بأحوال عباده، ثم أمر من لا حيلة له في النكاح أن يستعفف حتى يغنيه الله من فضله[٢].

ومن طرق حفظ النسل أمر الله بالتعدّد وأن يتزوج من أمن على نفسه العدل مثنى وثلاث ورباع، قال العزيز الحكيم: فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا [٣]،أباح الله للرجال الأحرار الزواج بأربع في حالة واحدة، وأوجب العدل بينهنّ، فيجب على العبد أن يراعي الواجب عليه، فإن علم أنه يقوم بحق هذا الواجب آثر هذا المباح، وإن علم أنه يقصر في الواجب فلا يتعرض لهذا المباح، فإنّ الواجب مسئول عنه[٤]. وأمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض النظر والحشمة، وما ذاك إلا حفاظًا على النسل، بمنع مالا يحلّ للمرء من النظر إليه، قال العزيز الحكيم: قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ [٥]، يأمر الله-تعالى ذكره- نبيه محمدًا-ﷺ- أن يقول للمؤمنين والمؤمنات بالله وبه -ﷺ-أن يكفُّوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه، ويحفظوا فروجهم أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم[٦].

ومن حفظ النسل وأهمية التنشئة عليه أنّ الشريعة نهت عن التبنّي وهو نسب الولد لغير أبويه، قال تعالى: وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [٧]،فرفع الله حكم التبنّي ومنع من من إطلاق لفظه وأرشد إلى الأولى والأعدل،وإن نسب إنسان إلى أبيه من التبني فإن كان على جهة الخطأ فلا إثم ولا مؤاخذة، فإن قاله أحدٌ متعمدًا فقد عصى[٨].

ومن حفظ النسل وأهمية التنشئة عليه أنّ الشريعة حرمت قذف المحصنات المؤمنات بالزنا، قال العزيز الحكيم: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ

---

(١)سورة النور: ٣٢.
(٢)انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ٣٢٧/٣.
(٣)سورة النساء: ٣.
(٤)انظر: لطائف الإشارات، القشيري،٣١٣/٣.
(٥)سورة النور: ٣٠-٣١.
(٦)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٥٤/١٩-١٥٥.
(٧)سورة الأحزاب: ٤-٥.
(٨)انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١١٩/١٤-١٢٠.

هُمُ الْفَاسِقُونَ [١]،في هذه الآية الكريمة بيان حكم جلد القاذف للمحصنة، وهي الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلًا فيُجلَد قاذفه أيضًا، ليس في هذا نزاعٌ بين العلماء، فأمّا إن أقام القاذف بيِّنة على صحة ما قاله، فإنه يردّ عنه الحدّ[٢].

وكذلك حرّمت الشريعة الزنا وعدته من كبائر الذنوب، ورتب على مقترفه الحدّ لغير المحصن الجلد مائة جلدة، والمحصن الرجم، وهذا من وسائل حفظ الشريعة للنسل وردع من تسول له نفسه على اقترافه، قال سبحانه: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ [٣]، وأما الزاني المحصن فعقوبته الرجم وهذا قول عامة أهل العلم من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار، ولا نعلم فيه مخالفًا إلا الخوارج[٤].

في آيات الحكمة في سورة الإسراء التي نزلت في مكة، وأوائل ما نزل من آيات الأحكام المفصلة تحريم الزنا، والتنشئة الدعوية للمسلم على تعظيم النسل وحفظه، وقطع سائر الطرق المفضية إلى انتهاكه، ففي جانب الزنا، قال السميع البصير: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [٥]،وصف الله الزنا وقبحه بأنه فاحشة، إثم يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حقّ الله وحقّ المرأة وحقّ أهلها أو زوجها، وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد[٦].

إنّ في هذه الأحكام حول حفظ النسل،وما استدللنا به من الآيات القرآنية،وما جاء من آيات الحكمة من سورة الإسراء لدلالة واضحة على حفظ النسل وضرورة التنشئة عليه.وسبل المحافظة على النسل تنوعت من جانبين، أولهما جانب الوجود، والآخر جانب العدم، فلو نظرنا إلى جانب الوجود وتطبيقه على الناشئة من المدعوّ لوجدنا تمثله في ترغيبهم وحثّهم على الإقدام على الزواج وتحصين النفس من الفتن ودواعيها، فلو نظرنا في موانع الشاب من الإقدام على الزواج لوجدنا المانع الأساس متمثّلًا في المادة التي تفوق طاقته والكماليات التي تزيد من أعباء الزواج، وهي مشكلة سببها المبالغة في تكلفة المهور وما يتبعها من مكملات حاجية، وقد وجّه سبحانه أولياء الأمور لتزويج الأيامى، وتكفّل الله برزقهم، قال الرزاق الحكيم: وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [٧]، إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم رجالكم ونساءكم وعبيدكم وإماءكم أهل فاقة وفقر، فإنّ الله يغنيهم من فضله، فلا يمنعنكم فقرهم من إنكاحهم وتزويجهم[٨].وأما من لم يستطع فقد قال الله سبحانه: وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ[٩]،والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه وإياها ما فيه كفاية له ولها، ومن لم يجد ما يحقق له مطلبه،فهذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجًا بالتعفّف عن الحرام[١٠].

ولذا على الدعاة إلى الله العمل على هذا الجانب وتنشئة المدعوّين كلّ بحسبه وظروفه، وفق برامج وخطط دعوية، تستهدف الأسر من آباء وأمهات وشباب وشابات، والسعي إلى تغيير النمط الاجتماعي في المجتمع وفق منظور شرعي، وبأساليب ووسائل دعوية مشروعة، ومن جانب العدم التنشئة على حفظ النسل بغضّ النظر والأمر بالستر والاحتشام من الشباب والشابات، وأنّ إطلاق النظر إلى الأجنبيات من المحرمات المنهي عنها. وقد اتفق العلماء على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم بشهوة[١١]. فيبين للمدعوّين حرمة النظر وفساده على

---

(١)سورة النور: ٤.
(٢)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤/٦.
(٣)سورة النور: ٢.
(٤)انظر:المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ب.ط، ٣٥/٩.
(٥)سورة الإسراء: ٣٢.
(٦)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص: ٤٥٧.
(٧)سورة النور: ٣٢.
(٨)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٦٦/١٩.
(٩)سورة النور: ٣٣.
(١٠)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٢/٦.
(١١)انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ٤١٥/١٥.

الإنسان، فغضّ البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر جليلة القدر: إحداها: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب وألذّ مما صرف بصره وتركه لله، والفائدة الثانية في غضّ البصر: نور القلب وصحة الفراسة،والفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة كما أعطاه بنوره سلطان الحجة[١]. ولذا من سبل الداعية لحفظ النسل الإقدام على الزواج، وإن تعذّر عليه ولم يستطع فعليه بالصوم. بالصوم. والاستطاعة فسرت بالوطء وفسرت بمؤن النكاح، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء، فأرشدهم إلى الدواء الشافي حال العجز؛ لأنّ الصوم يكسر شهوة النفس ويضيق عليها مجاري الشهوة، فإنّ هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها، والصوم يضيق عليها ذلك فيصير بمنزلة وجاء الفحل،ومن أدمن الصوم ماتت شهوته أو ضعفت[٢].ومن المهم للدعاة إلى الله العناية بالضروريات الخمس ومنها حفظ النسل الذي يجري فيه الحديث،وتصميم البرامج فيما يخدم هذا الأصل من برامج مختصة بالحشمة والستر، ويستهدف بها طالبات المدارس، فعلى سبيل المثال إقامة مسابقة دعوية تعنى بحفظ سورة النور وتفسيرها، لما تضمنته من أحكام متصلة بحفظ النسل، وقد حثّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على حفظها في كتابته:"تعلّموا سورة براءة، وعلموا نساءكم سورة النور، وحلوهنّ الفضة"[٣]؛ لما حوته السورة من آداب إسلامية وأحكام شرعية شرعية حريٌّ بالشباب والشابات أن يعرفوها ويمتثلوها تقرُّبًا إلى الله.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ النسل على المدعوّ

في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ لحفظ النسل والتنشئة الدعوية آثارًا عديدة على المدعوّ، وبعضها في النقاط التالية:

١.بقاء النسل وديموميته:

قال الله تعالى: فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا [٤]،تدل الآية على إباحة الزواج بأكثر من امرأة، لينكح كل فرد منكم ما طاب له من النساء اثنتينوثلاثًا وأربعًا[٥].ووجه الاستدلال أنها صيغة أمر تقتضي الطلب في الزواج، وأقلّ درجاته الندب فثبت الترغيب[٦]. ولا يتسنى بقاء النسل ودوموميته إلا بالزواج الشرعي الذي أحله الله لنا.

٢.الستر والعفاف والحشمة:

قال السميع البصير: قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [٧]،قل للمؤمنين والمؤمنات أن يغضوا من أبصارهم عن المحرمات، ويحفظوا فروجهم إلا على ما أباحه الله لهم، ذلك أزكى لهم وأنفع وأطهر لما فيه من البعد عن الريبة[٨]. وغضّ النظر عن المحارم فيه صون للنسل، وزكاة للنفس وطهر لها.

٣.صيانة العرض من السمعة السيئة(الفاحشة):

---

(١)انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥ه، ٤٨/١.

(٢)انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ه، ص: ٢١٩.

(٣)سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، دار النشر:دار العصيمي، الرياض، ١٤١٤ه، ط١، ٢٣٠/٥.

(٤)سورة النساء: ٣.

(٥)انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩/٣-٢٠.

(٦)انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٠٤/٩.

(٧)سورة النور: ٣٠-٣١.

(٨)انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الشيرازي، ١٠٤/٤.

قال السميع العليم: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [١]، وهذا جزاء من يقذف محصنة حرة عفيفة في الدنيا، أمّا في الآخرة فقد قال الله عنه: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [٢]،ومن الحدود التي جاء بها الكتاب والسنة وأجمع عليها المسلمون حدّ قذف المحصن بالزنا أو اللواط،وهو ثمانون جلدة[٣]. وهذا يدل على حفظ النسل وأهمية التنشئة عليه.

٤.تنزيه النفس من الرذائل والفواحش:

قال العزيز الكريم: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [٤]،وإذا قيل للإنسان لا تقربوا هذا، فهذا آكد من أن يقول له لا تفعله[٥]،لا تقربوا الزنا أيها الناس إنه كان فاحشة وساء طريقًا؛لأنه طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوئ به طريقًا يورد صاحبه نار جهنم[٦].فرد النفس عن هذا المنكر الشنيع تنزيه للنفس عن المنكر العظيم، وموجب رضا الرب الرحيم، وهذا أثر على حفظ النسل.

وبهذا القدر يتضح بعض آثار التنشئة الدعوية على حفظ النسل على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

---

(١)سورة النور: ٤.
(٢)سورة النور: ٢٣.
(٣)انظر: السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة، ص: ١٣٧.
(٤)سورة الإسراء: ٣٢.
(٥)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣١/٢٠.
(٦)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٤٣٨/١٧.

المبحث الخامس:التنشئة الدعوية على حفظ المال

وأثرها على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

المطلب الأول: التنشئة الدعوية للمدعوّ على حفظ المال في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ المال عصب الحياة وزينتها، واهتمت الشريعة الإسلامية بالمال وجعلته ضرورية من ضرورياتها، وأمرت بإنمائه، وحفظه من الفساد والضياع، وإيتاء حق الله فيه، قال سبحانه: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا [١]،نهى الله -جل وعلا-عن إعطاء الأموال للسفهاء؛ لأنهم يصرفونها في غير مصارفها، فدلّ ذلك على أنّ صرفها في غير مصارفها أمر منهي عنه، والمأمور به شرعًا صرف المال في مصارفه المشروعة، والاقتصاد في المأكل والمشرب من غير تقتير على النفس والأهل، ولا إسراف في تضييع المال من غير حاجة[٢].

وقد أباح الله البيع لتلبية حاجة الناس ومنع عنهم السرقة، قال السميع البصير: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ [٣]،فهذا استثناء منقطع تضمن نفي الأكل بالباطل وإباحة الأكل بالتجارة[٤].

وقال العزيز الحكيم: وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ [٥]،أي: أنّ بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا، وهذا أصل متفق عليه بين العلماء، ومن خرج عن ذلك الأصل كان سفيهًا، ويحجر عليه عند جمهور العلماء الذين يحجرون على السفيه، وكان مبذرًا لماله الذي أودعه الله عنده[٦].

وقد ورد في آيات الحكمة في سورة الإسراء ما يؤكد على حفظ المال بصور متعددة، منها أنّ الله تعالى أمر بالإنفاق على مستحق من الأقارب والمساكين وابن السبيل، ثم بيَّن بعد ذلك أدب الإنفاق، قال الله تعالى: وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا [٧]،والحقّ في هذه الآية ما يتعين من صلة الرحم والمساكين وابن السبيل، وسدّ الخلة، والمواساة عند الحاجة بالمال، والمعونة بكل وجه[٨].واعلم أنه تعالى لما أمر الإنسان بالإنفاق في الآية المتقدمة علمه في هذه الآية الآية أدب الإنفاق، فأمره ألا يمسك عن الإنفاق بحيث يضيق على نفسه وأهله في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات،ولا يتوسع في الإنفاق توسّعًا مفرطًا بحيث لا يبقى في يده شيء[٩].

وبيّن سبحانه أنّبيده الرزق،يوسع على أناس ويقدر على آخرين، قال -عزّ وجلّ- : إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [١٠]، فكنْ على ما رسم لك من الاقتصاد وإنفاق القوام ولا يهمنك فقر من تراه كذلك، فإنه بمرأى من الله ومسمع وبمشيئة، ويعلم مصلحة قوم في الفقر ومصلحة آخرين في الغنى[١١].

ونهى الله تعالى عن قتل الأولاد خشية الفاقة، قال السميع العليم: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا [١٢].

---

(١)سورة النساء: ٥.
(٢)انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ٣٧/٤.
(٣)سورة النساء: ٢٩.
(٤)انظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ه،٥٨٠/٣.
(٥)سورة المعارج: ٢٤.
(٦)انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ٣١/٣٢.
(٧)سورة الإسراء: ٢٦-٢٧.
(٨)انظر: الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، ٢٣٧/١٠.
(٩)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٢٩/٢٠.
(١٠)سورة الإسراء: ٣٠.
(١١)انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤٥١/٣.
(١٢)سورة الإسراء: ٣١.

كما نهى عن قربان مال اليتيم إلا بالحسنى،وأمر بالوفاء بالعهود،قال العزيز الحميد: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا [١]،في الآية نهي عن إتلاف الأموال؛ لأنّ لأنّ أعزّ الأشياء بعد النفوس الأموال، وأحقّ الناس بالنهي عن إتلاف أمواله هو اليتيم؛ لصغره وضعفه وكمال عجزه،ويعظم ضرره بإتلاف ماله، فلهذا السبب خصّهم الله تعالى بالنهي عن إتلاف أموالهم[٢].وأمر بالوفاء بالعقد الذي يتعاقدالناس فيما بينهم فيالبيوع والإجارات، وغير ذلك من العقود، فإنّه-جلّ جلاله- سيسألهم عنها[٣].

وأمر بالوفاءِ كذلك بالكيل والوزن في التعاملات، قال العزيز المجيد: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [٤]،واعلم أنّ التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل، والوعيد المترتب عليه شديد عظيم، فوجب على العاقل الاحتراز منه، وإنما عظم الوعيد فيه؛ لأنّ جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء، وقد يكون الإنسان غافلًا لا يهتدي إلى حفظ ماله، فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان، سعيًا إلى إبقاء الأموال على الملاك، ومنعًا من تلطيخ النفس بسرقة ذلك المقدار الحقير[٥].

فحريٌّ بالدعاة إلى الله الاهتمام ببيان أهمية تنشئة الأبناء على حفظ المال، وإعداد البرامج الدعوية التي تسعى إلى امتثاله، وذلك بتعويدهم على مصاريفهم المالية اليومية أو الأسبوعية، وتوجيههم بحسن الادخار والإنفاق، ودفّهم على استثمار ما يدخرون بتجارة بسيطة بين معارفهم وأقاربهم، وعلى الدعاة إلى الله أيضًا بيان ما يترتب على عدم حفظ المال من مساوئ في الدنيا بسلبها عنهم حال الإسراف في الإنفاق، وبيان ما للتقتير من مساوئ وعزلة عن الأقارب بعدم حسن القيام المشروع.

المطلب الثاني: أثر التنشئة الدعوية على حفظ المال على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء

إنّ لحفظ المال والتنشئة الدعوية عليه آثارًا عديدة على المدعوّ، ويأتي بعضها في النقاط التالية:

١.تعلّق النفوس بالله في طلب الرزق واستجلابه:

قال الرزاق الكريم: إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [٦]،إخبار منه تعالى بأنه هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة؛ فخبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر، ولذا لا يطلب الرزق إلا منه ولا يستعان في طلبه إلا به[٧]. فإذا نشأ المدعوّ على هذا الأصل ازدادت علاقته بربه وتعلقت نفسه برازقه، فنعم المولى ونعم النصير.

٢.التوسّط في الصرف والإنفاق:

قال -عزّ وجلّ-: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا [٨]، أي: أنّ لكل خلق طرفي إفراط وتفريط، وهما مذمومان، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق وهما مذمومان، والخلق الفاضل هو العدل والوسط، وبه أمر الإسلام وإليه دعا[٩]، وهذا أثر التنشئة الدعوية على حفظ المال الذي دعا إليه الدين الحنيف.

٣.الأمانة في البيع والشراء:

---

(١)سورة الإسراء: ٣٤.
(٢)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٦/٢٠.
(٣)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٤٤٤/١٧.
(٤)سورة الإسراء: ٣٥.
(٥)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٣٨/٢٠.
(٦)سورة الإسراء: ٣٠.
(٧)انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧١/٥.
(٨)سورة الإسراء: ٢٩.
(٩)انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٣٢٩/٢٠.

قال العزيز البصير: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [١]، وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص في المعاملات التجارية، ويؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مثمن أو معقود عليه، والأمر بالنصح والصدق في المعاملة[٢].

وهذا أكبر دليل على أنّ الشريعة تنظيم للعبادة وتنظيم للمعاملة، ففي العبادات والمعاملاتأمر ونهي، فعلى المؤمن أن يسير في عبادته ومعاملاته على الحدود الشرعية من غير تجاوز ولا تقصيرفي بيع وشراء وتأجير واستئجار وإرهان وارتهان وبذل وأخذ وغير ذلك؛ لأنّ الكل شريعة الله تعالى، والعبد مسؤول عن معاملته كما هو مسؤول عن عبادته[٣]، والقيام بالأمانة في المعاملات المأمور به شرعًا صورة من صور حفظ المال والذي ينبغي التنشئة عليه.

٤.إيفاء العقود والمواثيق وعدم نقضها:

قال العزيز المجيد: وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا [٤]،الذي يتعاهد عليه الناس والعقود التي يتعاملون يتعاملون بها، فإنّ العهد والعقد والمواثيق كلٌّ منها يسأل صاحبه عنه[٥]، فالمؤمن صادق القول في العهد، ليس الغدر من شيمته؛ لأنه يخلّ بنظام الحياة فيما نقض به، ويفسد على المرء تدبيره لمصلحته؛ وهو ضرب من الكذب، والكذب رأس النفاق[٦].

وبهذا القدر يتضح بعض آثار التنشئة الدعوية على حفظ المال على المدعوّ في آيات الحكمة في سورة الإسراء.

---

(١)سورة الإسراء: ٣٥.
(٢)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي،ص: ٤٥٧.
(٣)انظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح العثيمين، ط١، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، والإرشاد، ١٤٠٨هـ، ٢٠٤/٣.
(٤)سورة الإسراء: ٣٤.
(٥)انظر: تفسير القرآن العظيم،ابن كثير، ٧٤/٥.
(٦)انظر: الأدب النبوي، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٣هـ، ص: ١٥٨.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على الرسول الأميّ الأمين نبينا محمد -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-، أحمد ربي على التسهيل والتيسير والإعانة على استكمال هذا البحث المعنون بـــ**"التنشئة الدعوية على حفظ الضروريات الخمس وأثرها على المدعوّ في القرآن الكريم: آيات الحكمة في سورة الإسراء أنموذجًا"**، ولا أدعي العصمة ولا الكمال ولا التمام،وإنما أسأل الله أن يعذرني على النقص والزلل والخطأ، وأسأله أن يجازيني على البحث خيرًا، إنه رحيم جواد كريم.

في خاتمة هذا البحث، توصّل الباحث إلى نتائج وتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أوّلًا: النتائج

١.أنّ آيات الحكمة في سورة الإسراء بلغتثمانيَ عشرة آية شملتخمسًا وعشرين أمرًا ونهيًا تتفق عليهما الملل والأديان وأصحاب العقول والألباب.

٢.أنّ أول ما نزل من الأحكام والتشريعات المفصلة في بداية الإسلام في مكة آيات الحكمة؛ لتعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم، وتزكية نفوسهم عن الطبائع الجاهلية.

٣.أنّ آيات الحكمة في سورة الإسراء تضمنت الضروريات الخمس: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وإذا تساهل فيها الناس خربت الدنيا والآخرة.

٤.أنّ التنشئة على حفظ الضروريات الخمس في آيات الحكمة في سورة الإسراء تتحقق من جانبين: جانب وجودي وجانب عدمي.

٥.أنّ طرق حفظ الضروريات الخمس والتنشئة الدعوية عليها في آيات الحكمة في سورة الإسراء تكمن في أربع ركائز: تعلّم المدعوّين للضروريات الخمس، والعمل بها، والدعوة إليها، والصبر في المحافظة عليها.

٦.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعويةعلى حفظ الدين في القرآن الكريم في آيات عديدة، على سبيل المثال، قوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[١]، وهذا أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ الدين بواسطة الركائز الأربعة.

٧.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعويةعلى حفظ الدين في آيات الحكمة في سورة الإسراء في ثلاثة مواضع: قال السميع البصير: لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا[٢]، والموطن الثاني قول السميع الحكيم: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ[٣]، والموطن الثالث قولهتعالى: ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا[٤].

٨.ينبغي للدعاة إلى الله تصميم البرامج الدعوية للمدعوّ بتنشئتهم على حفظ الدين، ببيان العقيدة الصحيحة، وذمّ ما يعبد من دون الله، وتعليمهم أصول الإيمان، وأركان الإسلام وبقية شرائع الدين، وفق الأساليب والوسائل الدعوية المشروعة التي تناسب المدعو كل حسب حاله.

٩.أنّللتنشئة الدعوية على حفظ الدين آثارًا كثيرة، منها تحقيق العبودية لله -عزّ وجلّ-، واستقرار النفس وسكينتها، وتحقيق الأخوة الدينية، وتحقيق الأمن والاستقرار،والمتاع الدنيوي والأخروي لمن امتثل أمر الله، والذم والخذلان في الدنيا والآخرة،واللوم والدحور في الدنيا والآخرة لمن لم يستجب داعي الله.

١٠.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعويةعلى حفظ النفس في القرآن الكريم في آيات عديدة، على سبيل المثال، قال الله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ[٥]، وهذا أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ النفس بواسطة الركائز الأربعة.

---

(١)سورة الذاريات: ٥٦.
(٢)سورة الإسراء: ٢٢.
(٣)سورة الإسراء: ٢٣.
(٤)سورة الإسراء: ٣٩.
(٥)سورة النساء: ٢٩.

١١.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ النفس في آيات الحكمة في سورة الإسراء في ثلاثة مواضع: قال العزيز الحكيم: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا [١]، والموضع الثاني قول العزيز السميع: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا [٢]، والموضع الآخر قوله سبحانه: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [٣]، وهذة الآيات الكريمة تدلّ على حفظ النفس، وأهمية التنشئة على ذلك.

١٢.ينبغي للدعاة إلى الله تصميم البرامج الدعوية للمدعوّ بتنشئتهم على حفظ النفس، ببيان حرمة سفك الدماء المعصومة وقتل المعاهدين، وأنّ إقامة الحدود موكلة إلى ولي أمر المسلمين.

١٣.أنّ التنشئة الدعوية على حفظ النفس تشمل التقيّد بالنظم المدنية عامة، ونظم المرورية على وجه الخصوص؛ لما له من الأثر البالغ في اليوم والليلة على أفراد المجتمع، فتصمم البرامج الدعوية الداعية إلى حفظ النفس وضرورة التقيد بها وعدم مخالفتها لما لها من ضرر على الإنسان وهذا مخالف للأوامر الربانية.

١٤.أنّ التنشئة الدعوية على حفظ النفس لها آثار كثيرة، منها تحقيق الأمن والاستقرار، والعدل بين الناس، وإعمار للأرض، واجتناب قتل الأولاد؛ لأنّ قتلهم منإساءة ظنّ بالله.

١٥.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعويةعلى حفظ العقل في القرآن الكريم في آيات عديدة، على سبيل المثال، قال -عزّ وجلّ-: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ[٤]، والتحجّج بتقليد الآباء وصحة ما هم عليه وبطلان ما جاء به الإسلام، تعطيل للعقل وهذا أمر مخالف للتنشئة الدعوية على حفظ العقل.

١٦.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعويةعلى حفظ العقل في آيات الحكمة في سورة الإسراء في قول العزيز المجيد: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [٥]،وهذا أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ العقل ويتحقق ذلك بواسطة الركائز الأربعة.

١٧.حثّ المدعوّين وتنشئتهم على حبّ العلم، وتعظيمه، وتوقير أهله، وبيان خطورة القول بدون علم أو العمل بلا علم، بل عليه العمل وفق الدليل الشرعي.

١٨.تحذير المدعوّين من كل ما يضرّ العقل من مسكرات ومخدرات، ومن ذلك قراءة كتب أهل البدع والأفكار الملحدة الهدامة، ومجالستهم، دون علم شرعي يخول صاحبه من دعوتهم وإبطال شبهتهم.

١٩.أنّ للتنشئة الدعوية على حفظ العقل آثارًا كثيرة، منها، تمييز الإنسان عن سائر المخلوقات بما حباه الله من عقل، وحفظ المدعوّ من الصدّ عن ذكر الله، والاتصاف بشرار الخلق وأسوئهم، وأنّ المدعو محاسب عن جوارحه.

٢٠.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ النسل في القرآن الكريم في آيات عديدة، على سبيل المثال، قال الله سبحانه: وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [٦]، وهذا أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ النسل.

٢١.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعويةعلى حفظ النسل في آيات الحكمة في سورة الإسراء، ومنها قول العزيز الكريم: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [٧]، وهذا أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ النسل، ويتحقق ذلك بواسطة بواسطة الركائز الأربعة، من تعلّم ما يكفل لحفظ النسل بحسب المدعوّ، والالتزام بالحشمة والعفة، والدعوة في

---

(١)سورة الإسراء: ٣١.
(٢)سورة الإسراء: ٣٣.
(٣)سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.
(٤)سورة البقرة: ١٧٠.
(٥)سورة الإسراء: ٣٦.
(٦)سورة النور: ٣٢.
(٧)سورة الإسراء: ٣٢.

سبيل التنشئة على ما تدعو إليه أحكام حفظ النسل، والصبر في ذلك، وفق هدي الشرع بالأساليب والوسائل الدعوية التي تناسب المدعو كل بحسب حاله.

٢٢.أنّ التنشئة الدعوية على حفظ النسل لها آثار كثيرة منها: بقاء النسل وديموميته، والستر والعفاف والحشمة، وصيانة العرض من السمعة السيئة(الفاحشة)، وتنزيه النفس من الرذائل والفواحش.

٢٣.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ المال في القرآن الكريم في آيات عديدة، على سبيل المثال، قال المولى -عزّ وجلّ-: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا[١]،وهذا أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ المال.

٢٤.أنّ الله أمر بالتنشئة الدعوية على حفظ المال في آيات الحكمة في سورة الإسراء في خمسة مواطن،منها قول العزيز العليم: وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا [٢]، وقوله سبحانه: إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [٣]، والموطن الثالث في قول السميع الخبير: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا [٤]، والموطن الرابع في قول السميع البصير: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا [٥]، والموطن الخامس في قول السميع العليم: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [٦]، وهذه الآيات الكريمة تدلّ على حفظ المال وأهمية التنشئة عليه.

٢٥.أهمية تنشئة الأبناء على حفظ المال وإعداد البرامج الدعوية لهم وفق هدي الإسلام.

٢٦.أنّ للتنشئة الدعوية على حفظ المال آثارًا كثيرة منها: تعلّق النفوس بالله في طلب الرزق واستجلابه منه سبحانه، والتوسّط في الصرف والإنفاق، والأمانة في البيع والشراء، وإيفاء العقود والمواثيق وعدم نقضها.

ثانيًا: التوصيات

١. مزيد الاهتمام من الباحثين بالدراسات القرآنية الدعوية والعناية بها.

٢. قيام الدعاة إلى الله بربط أصول الدين وركائزه العظام بالقرآن الكريم مع التطبيقات المعاصرة.

٣. التطبيق العملي لما ورد في هذا البحث من التنشئة الدعوية على حفظ الضروريات الخمس، ومتابعة تنشئة الصغار والمدعوّين حتى تكون وفق ما تعاليم الدين وشرائعه.

٤. دراسة الآيات القرآنية المعنية بالتنشئة الدعوية للمدعوين.

٥. تعاون الآباء مع الدعاة إلى الله في تنشئة الأبناء.

٦. عناية المؤسسات والمكاتب الدعوية بالمختصرات من الآيات الجامعة الحاملة للضروريات الخمس، والتي بها صلاح الدنيا والآخرة نشرها، والسعي إلى تعليم حديث العهد بالإسلام وتنشئته على حفظ الضروريات الخمس.

٧. اهتمام القائمين على الدوائر والجهات التعليمية بتنشئة الطلاب والطالبات على حفظ الضروريات الخمس ليكون كل فرد منهم مواطنًا صالحًا مصلحًا.

٨. مزيد عمل القائمين على المؤسسات الدعوية والسعي إلى تصحيح المفاهيم التي يحملها أصحاب الجماعات المنحرفة وفهمهم للضروريات الخمسعلى منهج وسطيّ بعيدًا عن التشدّد المفضي إلى انتهاك حرمة النفس المعصومة والمعاهدة وبعيدًا عن التساهل المعطِّل الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر.

٩. اهتمام القائمين على مراكز الإصلاح والسجون بتنشئة الموقوفين فيها على رفع مستوى التديّن في نفوسهم ومعالجة ما وقعوا فيه من مشكلات، سواء انتهكوا حرمة الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو المال.

---

(١)سورة النساء: ٥.
(٢)سورة الإسراء: ٢٦-٢٧.
(٣)سورة الإسراء: ٣٠.
(٤)سورة الإسراء: ٣١.
(٥)سورة الإسراء: ٣٤.
(٦)سورة الإسراء: ٣٥.

المصادر والمراجع:

-الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.
-الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
-أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
-الأدب النبوي، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٣هـ.
-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
-إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥ه.
-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ه.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.
-بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ه.
-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
-تحفة المودود بأحكام المولود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.
-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.
-تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.
-تيسير التحرير، محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي، دار الفكر، بيروت.
-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
-الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧ه.
-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
-الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية،بيروت.
-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
-درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
-روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ه.
-سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، دار النشر:دار العصيمي، الرياض، ١٤١٤ه، ط١.
-السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة.
-شرح رياض الصالحين، محمد بن صال بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ه.
-الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح العثيمين، ط١، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٨هـ.
-العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ.
-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.
-فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
-فصول البدائع في أصول الشرائع، محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري (أو الفَنَري) الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.
-قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، دار المعارف بيروت، لبنان.
-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ه.
-اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.
-مجموع فتاوى ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٦هـ.
-مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
-محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ه.
-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
-المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ب.ط.
-مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
-الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.